(كفران النعم)

الحمد لله رب العالمين الكريم المتفضل على عباده بالإنعم والإحسان لاإله غيره...نحمده سبحانه وتعالى ونشكره ونتوب إليه ونستغفره...ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل : (مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً) ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله القائل : (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله) اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد فيقول تعالى : (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) .

عباد الله : تحدثنا فى اللقاء السابق عن قوم تنكروا لنعم الله : فمنهم من أمضى الله عقابه عليهم كقوم سبأ وقد تحدثنا عنهم... وكذلك أصحاب القرية التى قال الله عنها : (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ) فالآية تتحدث عن قرية أنطاكية وهي مدينة تقع على نهر العاصي في تركيا مع أنها سورية ، فبعد انقضاء الحرب العالمية الأولى عادت أنطاكية إلى سورية فلما كان الإنتداب الفرنسي على سوريا ضمها لتركيا ، وكان الله قد أرسل إليهم رسولين لهدايتهم فى عهد عيسى عليه السلام فلما ذهبا كذبوهما...فأرسل الله رسولا ثالثا...فلم يزدادوا إلا تكذيبا ، ولم يؤمن بدعوتهم إلا رجل واحد فلما علموا به قتلوه قال تعالى : (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ...) وكذلك عندما أرادَ الله أن يهلكَ النمرود ابن كنعان الذى قضى بإحراق إبراهيم عليه السلام في النار أرسل عليه بعوضة دخلت في رأسه فقتلته...فهؤلاء كفروا بالنعم فأمضى الله عقابه عليهم...فالإنسان ضعيف دائما...يؤكد ذلك ربنا فيقول : (يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ...) فإذا كان العلم قد صنع الإنسان الآلى إلا أنه جهاز إذا اختلت برمجته كان الدمار...ثم يقول : (وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَيَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) لقد أثبت العلم الحديث الإعجاز العلمي لهذه الآية : فلو وقف الذباب على قطعة بطيخ مثلاً فإنه يبدأ في إفراز عصارات هاضمة عليها فتتحول إلى مواد أخرى يستطيع الذباب امتصاصها لأن الذباب لايملك جهاز هضمي لذلك يلجأ إلى الهضم الخارجي ثم تدخل هذه المواد إلى الأنبوب الهضمي لتسير في الدورة الدموية ، فيتحول جزء منها إلى طاقة تمكنه من الطيران ، وجزء آخر إلى خلايا و أنسجة ، وجزء أخير إلى مخلفات يتخلص منها الذباب ، فأين قطعة البطيخ إذا ؟ وما السبيل إلى استرجاعها ؟ نعم (ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) أما عصاة المسلمين الذين كفروا بالنعم ثم تابوا وندموا على مافعلوا كأصحاب الجنة فقد تجاوزالله عنهم وفيهم عبرة لنا وعظة...فبالقرب من مدينة صنعاء باليمن عاش رجل صالح مع أولاده عيشة طيبة حيث كان له أرض عظيمة كثيرة الأشجار وافرة الثمار...فهنا نخيل ، وهناك أعناب ، فكانت جنته متعة للناظرين ونزهة للقاصدين...يأتونها للراحة والتمتع بمنظرها الجميل ، وكان الرجل الصالح مسلما من أتباع سيدنا عيسى عليه السلام ، وكان كلما حان وقت حصاد الزروع يبعث إلى الفقراء ليشهدوا الحصاد ، وكان هذا اليوم يعد عيدا عند الفقراء...كانوا يدخلون البستان ولايمنعهم الرجل الصالح من الدخول ليقينه بأن لهم حقا فيه وجرى على هذا كل عام...فضاق بعض أبناء الرجل الصالح من تصرف أبيهم ، فلم يعجبهم رؤية البستان مفتوحا للمساكين والمحتاجين...ولكن الرجل الصالح لم يمكث طويلا إذ مرض وتوفي تاركا أولاده وبستانه الواسع ، ومضت الأيام سريعة...وحان وقت الحصاد ، واجتمع الأبناء البخلاء يُعِدُّون للحصاد...فقال أحدهم : لن نعطي اليوم من البستان شيئا لفقير أو محتاج ، ولن يعود البستان مأوى للقاصدين أو أبناء السبيل ، فقال أوسطهم وكان كأبيه يحب عمل الخير : إنى أخشى أن تحرموا كما ستحرمون الفقراء ولكنهم لم يستجيبوا له ، واتفقوا فيما بينهم سرا أن يستيقظوا قبل أن يستيقظ الفقراء فيأتوا بستانهم ويقطفوا ثماره ويحصدوا زرعه ، ويقتسموه فيما بينهم فلايبقى شئ للفقراء هذا مكرهم ، فكيف كان مكر الله ؟ (وَمَكَرُوا وَمَكَرَاللهُ وَاللهُ خَيْرُالْمَاكِرِينَ) فأرسل الله على جنتهم بلاء شديدا وهم نائمون ، فاحترقت أشجارها وجفت أوراقها وأصبح بستانهم أسودا كالليل...هذا جزاء النية ، أماهم فانطلقُوا إلى بستانهم فى خفاء ، وعندما وقفوا على بستانهم تساءلوا فى حسرة أهذا بستاننا ؟ لقد تركناه بالأمس مورقا بأشجاره وافرا بثماره ما نظنه هو وإننا لضالون عنه ، فقال أوسطهم : بل هي جنتكم حُرمتم منها قبل أن يُحرم منها الفقير...وقد حذرتكم...فأقبل بعضهم يلوم البعض الآخر...ثم قالوا : يا ربنا إنا كنا طاغين : أي عصيناك ياربنا بمنع الزكاه ، فلما اعترفوا بخطئهم وأظهروا استعدادهم للتوبة وقالوا : إن أبدلنا الله خيرا منها سنصنع كما كان يصنع والدنا...عندئذ أدركهم الله تعالى برحمته فأبدلهم من ليلتهم ماهو خير منها ، وأمر الله جبريل عليه السلام أن يقتلع بستانهم المحروق ثم يجعل مكانه بستانا عامرا فكانت البركة فيه ظاهرة ، وعادوا إلى ما كان عليه والدهم لايمنعون فقيرا ولامسكينا يطهرون أموالهم من أموال الزكاة ، ويصورالقرآن الكريم هذا المشهد بين آياته فيقول تعالى :

(إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلاَ يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ * فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ * أَن لاَّ يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ * وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلاَ تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلاَوَمُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ * عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ * كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) فما أشبهنا اليوم بهؤلاء...فالأمة الإسلامية اليوم في حاجة إلى اللجوء إلى الله أولا وذلك بإصلاح ما وقعوا فيه من التقصير في حق ربهم ، ومن الأمور التي لابد أن يجهزوا أنفسهم من أجلها...التضحية لله وتربية النفس على ذلك ، وأن يعلموا أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ومن أمثلة ذلك : عندما حث الله عباده على العمل الصالح في الدنيا رتب على ذلك عظيم الأجر ، وهو النعيم في الآخرة...إنه نعيم كامل يحير العقل ويذهله ، لأن العقل يعجز عن إدراك حقيقة ذلك النعيم وكيف يدركه العقل وقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لاعَيْنٌ رَأَتْ وَلاأُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلاخَطَرَعَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) يقول أبوهريرة : إِقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) وَفِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَة سَنَةٍ لا يَقْطَعُهَا ، إِقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يقول أبوهريرة : (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) فالذي يعلم قيمة الجزاء يضحي...فأنت أخى المسلم لماذا تفتح شغلا جديدا وتترك ما أنت فيه ؟ لأنك سمعت عن مقدار الربح فيه ، فالنفس لاتترك محبوباً إلا لمحبوب أعلى منه...عندما يقول ربنا : (إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) ماذا كانوا يفعلون ؟ يأتيهم الجواب : (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) عنوانهم الإخلاص : (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لانُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلاشُكُورًا) والدافع لهذا العمل الخوف من الله : (إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا) فجاء الجزاء على العمل من جنسه : (فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا) لو رأيت ميراثهم فى الجنة لتعجبت قال تعالى : (وَإِذَا رَأَيْتَ ثَم رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا) نعم فالذي يعلم قيمة الجزاء يضحي...لماذا يترك بعض التجار بعض الصفقات أوبعض العروض المغرية ؟ لماذا لايبيعون مشروبات أومأكولات محرمة مع أن الربح فيها كثير؟ لماذا لايبيعون مشغولات تحمل عقيدة غيرالمسلمين كالصلبان وغيرها ؟ لماذا لا يشاركون في فرص يقال عن تاركها إنه غبي وقد فاتته فرصة العمر؟ لأجل العاقبة الحميدة في الآخرة وهي قوله صلى الله عليه وسلم : (التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ) وأكرر : الذي يعلم قيمة الجزاء يضحي...فالنفس لاتترك محبوباً إلا لمحبوب أعلى منه ، فأنت أخى المسلم لماذا خرجت من وطنك ؟ لتبتغى الرزق والحمد لله فقد وسع الله عليك فى المأكل والمسكن والمركب وهذا وعد من الله الذى يقول : (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) وهناك أجر كبير ينتظرك فى الآخرة إذا نجحت فى استثماره وهو ميسر لك جدا إذا عزمت على ذلك...فعندما تقتطع وقتا للدعوة من خلال الزبائن وأنت أعلم بهم وفيهم صحبة لك فتعطيهم من هذه الرسائل يقرءون فقد بلغت الدعوة إمتثالا لقول الله تعالى : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...) ويقول : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) ومن يدرى فقد يهديه الله بك كما فعلت ذلك سيدة هي...والرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رجلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُالنَّعَمِ) فبفعلك هذا قد أصبحت شهيدا عليهم قال تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) أما إذا لم تفعل فكيف تكون شهيدا عليهم وأنت لم تقدم لهم شيئا عن الإسلام ؟ فما قيمة الدنيا كلها يا إخوان فى الميزان ؟ لاشيئ...لقوله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما مرعلى شاة ميتة فقال : (أَتُرَوْنَ هَذِهِ هَيِّنَةً عَلَى صَاحِبِهَا ؟ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى صَاحِبِهَا ، ولَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ) نعم أيها المسلمون : كما قال صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا للهِ إِلاَّ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ) ففى هذا الحديث الكثير من الأمثلة التى تمس حياتنا اليومية سنتكلم عنها فى اللقاءات القادمة إن شاء الله...وعنه صلى الله عليه وسلم : (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) .

الخطبة الثانية

الله أعلم قد يبدأ ذوالحجة يوم الخميس القادم إن شاء الله ، ويسن للمسلم صيام الأيام التسعة الأولى من ذي الحجة أما صيام التاسع منه وهو يوم عرفة فصيامه سنة مؤكدة لغير الحجاج وهم بعرفة ، والأصل في هذا ما رواه أحمد والنسائي عن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصوم أيام التسع من ذى الحجة فصوم الثمانية أيام من ذى الحجة سنة مستحبة ، أما صوم يوم عرفة فهوسنة مؤكدة وهو يكفر سنتين سنة ماضية...وسنة مستقبلة...ومن الأعمال الصالحة التي يستحب فعلها في يوم النحر وأيام التشريق ويجب البحث عنها من الآن : ذبح الأضاحي لقوله صلى الله عليه وسلم : (مَنْ كَانَ لَهُ سَعَةٌ وَلَمْ يُضَحِّ فَلاَ يَقْرَبَنَّ مُصَلاَّنَا) فهي واجبة على من كان عنده سعة من المال ، وتجزئ الأضحية عنه وعن أهل بيته ، ولوعلمتم ما فى الأضحية من فضل لادخرتم لحم العام كله من الأضاحى ففضلها عظيم...وعلى المضحى ألا يأخذ شيئا من شعره ولا من أظفاره للحديث الوارد في ذلك .

يقول تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ...) فذكر الله هنا هو الخطبة...يؤيد ذلك قوله تعالى من سورة العنكبوت : (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنْصِتْ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ فَقَدْ لَغَوْتَ) خ/م فإن احتج البعض بحديث الرجل الذى أمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يصلي ركعتين بعد جلوسه بدون صلاة...فقد أجاب العلماء بأن الرجل كان لم يصل الصبح ، وفى رواية : كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو إلى الصدقة فلما دخل الرجل كان يبدو عليه الفقر فأمره الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يصلي ركعتين ليراه الناس فيحسنون إليه...وعلى ذلك فلايجوز للمصلى إذا دخل المسجد والإمام يخطب من يوم الجمعة أن يلقي السلام...أويرد...ولايمد يده...ولايرفع يديه...ولايهزرأسه...لأن ذلك يبطل جمعته ولا أجرله .

نعم أيها المسلمون : كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا للهِ إِلاَّ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ)

فهذه قصة زواج المبارك والد عبد الله بن المبارك تتطابق مع الحديث الشريف

وهي قصة عجيبة تدل على نفس المعنى ـ أن من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه ـ فقد كان المبارك رقيقا فأعتقه سيده وعمل أجيرا عند صاحب بستان ، وفي يوم خرج صاحب البستان ومعه نفر من أصحابه إلى البستان وأمر المبارك أن يحضر لهم رمانا حلوا ، فجمع لهم فلما ذاقه قال للمبارك : أنت ما تعرف الحلو من الحامض ؟ فقال المبارك : لم تأذن لي ان آكل حتى أعرف الحلو من الحامض...فظن صاحب البستان أن المبارك يخدعه ، وقال له : أنت منذ كذا وكذا سنة تحرس البستان وتقول هذا ؟ ثم سأل بعض الجيران عنه فشهدوا له بالخير والصلاح وأنهم ما عرفوا أنه أكل رمانة واحدة ، فجاءه صاحب البستان وقال له إذا أردت أن أزوج ابنتي فممن أزوجها ؟ فقال المبارك : إن اليهود يزوجون على المال ، والنصارى يزوجون على الجمال ، والمؤمنون يزوجون على التقوى والدين فانظرمن أي الناس أنت ؟ فقال : وهل أجد لابنتي من هوخيرمنك؟ وعرضها عليه فقبل المبارك وبنى بها ورزق منها أولادا كان منهم عبد الله بن المبارك رحمه الله ، فيا سبحان الله ، عف نفسه عن الرمان فسيق إليه البستان وصاحبته ، ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه .

وأيضا قصة الراعي مع عبد الله بن عمر

وهي من أعجب القصص التي تدل على هذا المعنى ، إذ سار عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ومعه بعض إخوانه فلقي راعي غنم فقال له ابن عمر: بعنا شاة من هذه الغنم ، فقال : إنها ليست لي إنها لسيدي ، فقال ابن عمر : قل لسيدك أكلها الذئب ، فقال الراعي: فأين الله؟ فبكى ابن عمر رضي الله عنه وظل يردد : فأين الله؟ ثم ذهب إلى سيده فاشتراه وأعتقه ، واشترى الغنم ووهبها له ، فانظر كيف عف عن شاة واحدة فأعتق ووهبت له الشياه كلها!!.فيا أيها الحبيب: هل أيقنت الآن أن من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه ؟ وهل علمت أن الأمر صبر ساعة ، وأن من يتصبر يصبره الله ومن يستعفف يعفه الله ؟

إن من ترك لله شيئاً عوضه الله خيراً منه، والعوض من الله أنواع مختلفة، وأجل ما يعوض به: الأنس بالله، ومحبته، وطمأنينة القلب بذكره، وقوته، ونشاطه، ورضاه عن ربه تبارك وتعالى، مع ما يلقاه من جزاء في هذه الدنيا، ومع ما ينتظره من الجزاء الأوفى في العقبى ؛ فحري بالعاقل الحازم، أن يتبصّر في الأمور، وينظر في العواقب، وألا يؤثر اللذة الحاضرة الفانية على اللذة الآجلة الدائمة الباقية. قال الله تعالى (ومن يتّق الله يَجْعَل لَهُ مَخْرجاً. ويَرْزُقْهُ من حيث لا يَحْتَسب) [سورة الطلاق: 2 - 3].

قال الشيخ علي الطنطاوي في مذكراته

في دمشق مسجد كبير اسمه جامع التوبة، و هو جامع مبارك فيه أنس و جمال
سمي بجامع التوبة لأنه كان خاناً ترتكب فيه أنواع المعاصي، فاشتراه أحد الملوك في القرن السابع الهجري، و هدمه و بناه مسجداً
و كان فيه منذ نحو سبعين سنة شيخ مربٍّ عالم عامل اسمه الشيخ سليم السيوطي، و كان أهل الحي يثقون به و يرجعون إليه في أمور دينهم و أمور دنياهم
و كان هناك تلميذ مضرب المثل في فقره و في إبائه و عزة نفسه، و كان يسكن في غرفة المسجد، مرّ عليه يومان لم يأكل شيئاً، و ليس عنده ما يطعمه و لا ما يشتري به طعاماً، فلما جاء اليوم الثالث أحس كأنه مشرف على الموت، و فكر ماذا يصنع!!؟؟
فرأى أنه بلغ حدّ الاضطرار الذي يجوز له أكل الميتة أو السرقة بمقدار الحاجة، و آثر أن يسرق ما يقيم صلبه
يقول الطنطاوي: و هذه القصة واقعة أعرف أشخاصها و أعرف تفاصيلها و أروي ما فعل الرجل، و لا أحكم بفعله أنه خير أو شر أو أنه جائز أو ممنوع
و كان المسجد في حيّ من الأحياء القديمة، و البيوت فيها متلاصقة و السطوح متصلة، يستطيع المرء أن ينتقل من أول الحي إلى آخره مشياً على السطوح، فصعد إلى سطح المسجد و انتقل منه إلى الدار التي تليه فلمح بها نساء فغض من بصره و ابتعد، و نظر فرأى إلى جانبها داراً خالية و شمّ رائحة الطبخ تصدر منها، فأحس من جوعه لما شمها كأنها مغناطيس تجذبه إليها، وكانت الدور من طبقة واحدة، فقفز قفزتين من السطح إلى الشرفة، فصار في الدار، و أسرع إلى المطبخ، فكشف غطاء القدر، فرأى بها باذنجاناً محشواً، فأخذ واحدة، و لم يبال من شدة الجوع بسخونتها، عض منها عضة، فما كاد يبتلعها حتى ارتد إليه عقله و دينه، و قال لنفسه: أعوذ بالله، أنا طالب علم مقيم في المسجد، ثم أقتحم المنازل و أسرق ما فيها؟؟
كبر عليه ما فعل، فندم و استغفر و رد الباذنجانة، و عاد من حيث جاء، فنزل إلى المسجد، و قعد في حلقة الشيخ و هو لا يكاد من شدة الجوع يفهم ما يسمع
فلما انقضى الدرس و انصرف الناس، جاءت امرأة مستترة، و لم يكن في تلك الأيام امرأة غير مستترة ، فكلمت الشيخ بكلام لم يسمعه، فتلفت الشيخ حوله فلم ير غيره، فدعاه و قال له: هل أنت متزوج ؟ قال: لا، قال: هل تريد الزواج؟ فسكت.. قال له الشيخ: قل هل تريد الزواج ؟ قال: يا سيدي ما عندي ثمن رغيف و الله فلماذا أتزوج؟
قال الشيخ: إن هذه المرأة خبرتني أن زوجها توفي و أنها غريبة عن هذا البلد، ليس لها فيه و لا في الدنيا إلا عم عجوز فقير، و قد جاءت به معها -و أشار إليه قاعداً في ركن الحلقة- و قد ورثت دار زوجها و معاشه، و هي تحب أن تجد رجلاً يتزوجها على سنة الله و رسوله، لئلا تبقى منفردة ، فيطمع فيها الأشرار و أولاد الحرام، فهل تريد أن تتزوج بها؟ قال: نعم
و سألها الشيخ: هل تقبلين به زوجاً؟ قالت: نعم
فدعا بعمها و دعا بشاهدين، و عقد العقد، و دفع المهر عن التلميذ، و قال له: خذ بيدها، و أخذت بيده، فقادته إلى بيته، فلما دخلته كشفت عن وجهها، فرأى شباباً و جمالاً، و رأى البيت هو البيت الذي نزله، و سألته: هل تأكل؟ قال: نعم، فكشفت غطاء القدر، فرأت الباذنجانة، فقالت: عجباً من دخل الدار فعضها؟؟
فبكى الرجل و قص عليها الخبر، فقالت له:هذه ثمرة الأمانة، عففت عن الباذنجانة الحرام
فأعطاك الله الدار كلها و صاحبتها بالحلال

فمن شكرالله بقليل من العمل كافأه الله بالكثير من الجزاء قال تعالى : (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُأَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلايُجْزَى إلامِثْلَهَا وَهُمْ لايُظْلَمُونَ) ويضاعف الله العشرة إلى سبعمائة فيقول : (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ...) أما التضعيف فوق السبعمائه للذين يتعاملون مع الله بغير حساب وهؤلاء هم المتقون المقربون كما قال تعالى : (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ...) .

فالشكر خلق الأنبياء والمؤمنين ، لأن الإيمان يعلمهم أنهم وما يملكون لله ، وأنهم إذا شكروا الله فإن ثمار هذا الشكر سيعود عليهم لقوله تعالى : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ...) فالله يبتلي عباده بالخير كما يبتليهم بالشر قال تعالى : (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) ففتنة السراء أشد خطرا من فتنة الضراء لأنها سبيل الإبتلاء والإفتتان وصاحبها يحتاج إلى صبر وشكر...فكيف نشكر الله ؟ نشكره بقلوبنا وألسنتنا وجوارحنا...**فشكرالقلب :** اليقين بأن النعم كلها من الله قال تعالى : (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ) **وشكراللسان :** الإكثار من الحمد يقول صلى الله عليه وسلم : (الحمد لله تملأ الميزان) فالحمد أول الشكر وهو أول آية في كتابه : (الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) **وشكر الجوارح :** أن تستخدمها في طاعة الله ولاتطلقها فيما حرم الله...**وإذا أردت أن تشكر نعمة الله عليك فى الدنيا فسبيل ذلك :** أن تنظر إلى من هو دونك في الرزق ولا تنظرإلى من هو أعلى منك **أما في أمور الدين :** فانظر إلى من هو أعلى منك : انظر إلى العُبَّاد إلى الزُّهاد ، إلى حفظة القرآن الكريم ، إلى العاملين بالعلم...حتى تقتدي بهم وتكون مثلهم ، إحرص على مجالسة الذين يريدون وجه الله حتى يجمعك الله بهم فى الجنة إن شاء الله قال تعالى : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاتَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ...) وحذارى حذارى من صحبة الشاي والقهوة والتكلم فى أعراض الناس ، فوالله لن تنفعك وستكون هذه الصحبة يوم القيامة عداوة كما قال ربنا : (الأَخِلاَّء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّالْمُتَّقِينَ) ويقول صلى الله عليه وسلم : (الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ) .

ويقول صلى الله عليه وسلم : (إِنَّمَا مَثَلُ الجليس الصالحُ والجليسُ السوءِ كحامِلِ المسك ونافخِ الكِيْرِ...)

كذلك فإن الله يشكر الكفار على صنيعهم من الخير ويجازيهم عليه فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (نَزَعَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ غُصْنَ شَوْكٍ عَنِ الطَّرِيقِ فَشَكَرَاللَّهُ لَهُ بِهَا فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ) ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ وَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي ، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِى فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ) قَالُوا يَارَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لأَجْرًا ؟ قَالَ : (فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ) فإذا أنعم الله عليك أخى المسلم ولم تشكره...فاعلم أنما هواستدراج لك من الله قال تعالى : (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لايَعْلَمُونَ) وقال صلى الله عليه وسلم : (إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد من النعم وهو قائم على معصيته فاعلم أنما هواستدراج من الله...)

وشاهد ذلك من كتاب الله :

(فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ...)

فبالشكر أخى الكريم تتفتح أمامك أبواب السماوات والأرض قال تعالى :

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ)

فاتقوا الله عباد الله واشكروه على ما أعطاكم ولا تكونوا من الجاحدين فتقربوا إليه من جنس ما أعطاكم...

وعنه صلى الله عليه وسلم :

(كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)